

عُزِّيَا

دق عزت شاكر

من هو عزيا؟

عزيا هو الملك العاشر على مملكة يهوذا، وقد ملك من (٧٩٢ - ٧٤٠ ق م) تقريباً. ومعنى اسمه " الرب عزى أو الرب قوتى " وله اسم آخر هو عزريا، والذي يعنى " الرب عونى " . وقد تولى عزيا المُلك، وكانت المملكة فى ذلك الوقت مهلهة وممزقة، وتعيش فى فترة من اليأس والإحباط، بسبب الفترة الطويلة التى مَلِك فيها أبوه الملك " أمصيا " فلقد ملك تسعة وعشرين عاماً، وكان ملكاً ضعيفاً ومتهوراً. نجح فى بداية مُلكه بسبب استقامة قلبه وطاعته لكلام الرب على فم أنبيائه، وحقق عدة انتصارات ثم فشل بسبب ابتعاده عن الرب. وترك وراءه مملكة محطمة ومهلهة.



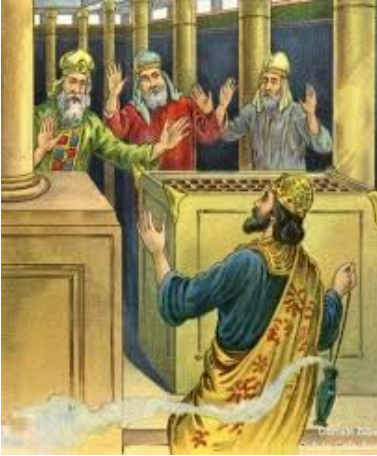
تولى عزيا المُلك وهو ابن ست عشرة سنة، وملك اثنتين وخمسين سنة، واسم أمه " يكليا " وتقول بعض التقاليد القديمة إنها كانت سيدة تقية مؤمنة علمت ابنها طاعة الله ومخافته.

وكان عزيا قائداً فذاً، نجح فى رفع يهوذا وإصعادها من حال العبودية إلى قوة قومية مرموقة الأمر الذى جعله أعظم حاكم حكم على المملكة الجنوبية منذ عهد سليمان. ولعل السؤال الذى يواجهنا الآن هو : ما هو سر نجاحه؟

عزياً وسر نجاحه:

لقد كان الجو المحيط بعزياً يشجع على معرفة الرب، فلقد نشأ بين أحضان أم تخاف الله، والأم ولاشك هي المدرسة الأولى التي يستطيع كل إنسان أن يتعلم منها. لقد استطاعت أم موسى أن ترضع ابنها مع اللبن، محبة الله، ومحبة شعبه، ولذلك عندما كبر موسى أبي أن يدعى ابن ابنة فرعون وفضل أن يُدَلَّ مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتي بالخطية . وكانت صلوات مونيكا الحارة إلى الله هي السبب الأول في اهتداء أغسطينوس.

وكان السبب الثاني هو وجود زكريا الفاهم بمنابر الله بالقرب منه (٢ أخ ٢٦ : ٥). وهنا رسالة لكل خادم للكلمة، إذ عليه مسئولية الاقتراب من كل قائد ورئيس وملك، لا ترهب إنسان، فكل إنسان في احتياج إلى كلمة الله أيّاً من كان هذا الإنسان، إلى جانب أن رسالتك ربما تكون سبب بركة لبلاد وشعوب وممالك. أما السبب الثالث فهو أنه طلب الرب ، ويسطر الوحي لنا "وفي أيام طلبه الرب أنجحه الله" (٢ أخ ٢٦ : ٥).

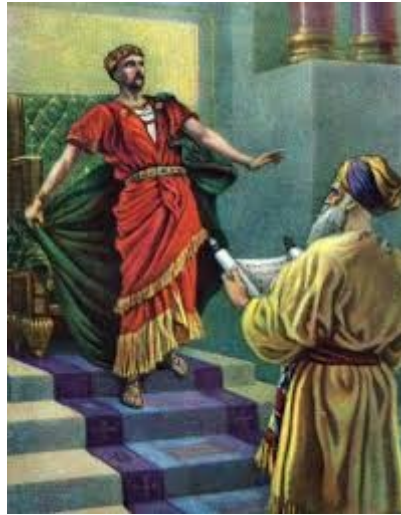


وطلب الرب يعني التوبة الصادقة، والتذلل أمامه، وتحقيق مشيئته، قال إشعياء "أطلبوا الرب مادام يوجد، ادعوه وهو قريب. ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران" (إش ٥٥ : ٦ و ٧) وهنا يجب أن ندرك أن النجاح الحقيقي مع الله وبه، وبعيداً عنه لا نحصد إلا الخراب والفشل وخيبة الأمل، لأن الخطية تُفسد ذهن الإنسان وتشتت أفكاره، وتصيبه بعقدة الشعور بالذنب والقلق الدائم فلا ينجز ولا يحقق شيئاً.

عزياً وإصلاحاته:

كانت مملكة يهوذا قبل عزيا فريسة للغزو والاستعباد على يديّ إسرائيل نتيجة للسياسة الفاشلة للملك أمصيا، بالإضافة إلى العار الذي لحق بالملك أمصيا من جراء سجنه الذي أدى إلى ظهور عزيا كقائم على الحكم (٧٩٢ ق م) ، ويبدو أنه أعيد إلى الحكم عام (٧٨٢ ق م) بعدما أفرجت عنه إسرائيل كنوع من سياسة حسن الجوار بينهما، ولكن شعب يهوذا فتتوا عليه فهرب إلى لخيث وقتلوه هناك، إلا أنهم جميعاً أخذوا عزيا وملكوه عوضاً عن أبيه (٢ مل ١٤ : ١٩ - ٢١).

لقد كان ملك إسرائيل في تلك الفترة هو يربعام بن يوش، أو كما يلقبونه يربعام الثاني (٧٩٣ - ٧٥٣) وقد بلغت المملكتان أوج قوتها وازدهارهما، ما لم تبلغاه منذ أيام سليمان، وقد أثبتت الاكتشافات الأثرية في السامرة وغيرها من المواقع صدق الصورة المرسومة في الكتاب المقدس لما بلغته الدولتان من القوة والرخاء في هذه الفترة، وساعدهما على ذلك الوضع السياسي العالمي، إذ كان هدد نيراري الثالث ملك آشور (٨١١ - ٧٨٣) قد قضى على قوة مملكة آرام "سوريا الآن" ووضع ملكها بنهدد الثالث تحت



الجزية وهكذا خلا الجو من آرام كقوة مناهضة لإسرائيل ويهوذا، كما أن آشور نفسها لم تعد عدواً خطيراً لأن خلفاء هدد نيراري الثلاثة حتى عام (٧٤٥) - قبيل وفاة عزيا- لم يكونوا من القوة بدرجة تمكنهم من إحكام قبضتهم على البلاد الواقعة غرب الفرات. هذا إلى جانب أن المملكتين كانتا تعيشان في سلام.

لقد بدأ عزيا بترميم دفاعات أورشليم، وأعاد تنظيم الجيش وتسليحه، وعمل في أورشليم "منجنقات" - وهي آلات حربية قوية توضع على الأبراج لترمي السهام والحجارة الكبيرة (٢ أخ ٢٦ : ١٥) وساعده الجيش في تحقيق كل طموحاته التوسعية، فسيطر على أدوم ، وتحكم في طرق التجارة الرئيسية،

وحارب الفلسطينين وانتصر وهدم أسوار جت وبينة وأشدود، وبنى مدناً حصينة، كما حارب القبائل فى الشمال الغربى فى شبه الجزيرة العربية، وانتصر على العمونيين وأخضعهم لنفسه وكانوا يدفعون له الجزية، وامتد اسمه إلى مدخل مصر، وبنى أبراجاً فى أورشليم، وحفر آباراً كثيرة، وكانت له ماشية كثيرة فى السهل وفى الساحل، واهتم عزيا بصناعة السلاح من تروس ورماح وقسى وخوذ وحجارة مقاليح.

لقد أحدث عزيا نهضة شاملة سياسية، واقتصادية، وعسكرية، واجتماعية. لقد أعاد مجد المملكة المفقود، وصار عزيا أقوى ملوك غرب آسيا، ومصدر خطورة على أشور نفسها، ووجد اسمه فى سجلات أشور كشخصية خطيرة يُعمل لها ألف حساب. لقد عاشت البلاد فى رخاء لم تعرفه منذ أيام سليمان الملك.

عزيا وخطيته:



يسجل لنا الوحي عن عزيا "ولما تشدد ارتفع قلبه إلى الهلاك وخان الرب إلهه ودخل هيكل الرب ليوقد على مذبح البخور" (٢ أخ ٢٦ : ١٦).

وهنا للأسف نرى أكثر من خطية، لعل أخطرها هي "الكبرياء" إذ لما وصل إلى هذه الدرجة من القوة والعظمة والنجاح دخلته الكبرياء والتعالى. إن كان هناك العشرات أسقطهم الفشل فهناك الآلاف أسقطهم النجاح. لما تشدد ارتفع قلبه. وماذا تفعل الكبرياء فى الإنسان؟

أليست الكبرياء هي التي أسقطت أبونا الأولين! لقد قالت لهما الحياة "البن تموتا ... بل يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما وتكونان كالله ..." (تك ٣ : ٤ و ٥). الكبرياء هي التي أسقطت الملائكة. الكبرياء والتعالى هي التي جعلت نبوخذ نصر يُطرد بين الناس ويسكن مع حيوان البر، ويأكل العشب كالثيران سبعة أزمنة، إلى أن علم أن العلى متسلط فى مملكة الناس وهو يعطيها لمن يشاء "دا ٤". الكبرياء

عُزَيَّا ٥

هى التى جعلت هيرودس يضره ملاك الرب ويأكله الدود وهو لابس الحلة الملوكية وجالس على كرسى العرش.

والمشكلة الثانية أنه
"خان الرب" وهل
يستطيع الإنسان أن
يخون الرب؟ وما
معنى خان الرب؟ وما
هى نتيجة خيانة
الرب؟



قد يستطيع الإنسان أن
يخدع أو يخون أخاه
الإنسان، لكنه لا يستطيع أن يخون الرب، وإن خان فإنه بذلك يدمر نفسه دون أن
يدرى، ينسج كفته ببديه. وهذا ما حدث مع عزيا.

والمشكلة الثالثة هى أن كبريائه قادته لأن يدخل هيكل الرب ليوقد على مذبح
البخور. بعد الانتصارات العظيمة التى
حققها عزيا وجد أن دوره كملك صغير
عليه لذلك أراد أن يكون رئيس كهنة أيضاً،
لقد أراد أن يكون رئيس دين ورئيس دولة.



وهنا دخل وراءه عزريا الكاهن
ومعه ثمانون من الكهنة وقاوموه
بشده وقالوا له "ليس لك يا عزيا أن
توقد للرب بل للكهنة بنى هرون
المقدس للإيقاد اخرج من المقدس لأنك
خنت..." (٢ أخ ٢٦ : ١٧ و ١٨).

وهنا نرى دور رجل الله الشجاع الذى
لا يهاب الملك، ولا يخاف على حياته أو مستقبله أو مستقبلى أولاده، ويقف بشجاعة
ويقول للملك " اخرج من المقدس لأنك خنت". إنه يذكرنا بالنبى إيليا الشجاع الذى

وقف أمام أخاب الملك وقال له: "لم أكرر إسرائيل بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الرب وبسيرك وراء البعليم" (١ مل ١٨ : ١٨). ويذكرنا بالمعمدان الشجاع الذى وقف أمام هيرودس الطاغية وقال له: "لا يحل لك". إنها مسئولية على عاتق رجل الله أن لا يجامل على حساب الحق، بل ليعلن الحق بكل شجاعة. ولكن هذا لا يحدث إلا إذ كان رجل الله يمارس حضور الله باستمرار حتى لا يهاب إنساناً.

لقد نسى عزيا أن هذا الدور هو دور الكهنة فقط بنى لاوى "خر ٣٠ : ٧ ، عد ١٨ : ١ - ٧". لقد نسى شريعة الرب! نسى ما حدث لقورح ودathan وأبيرام الذين أرادوا اقتحام الكهنوت ففتحت الأرض فاها وابتلعتهم دون شفقة أو رحمة . يقول القس إلياس مفر فى كتابه "شخصيات الكتاب المقدس" "لو لم يقف الكهنة وقاموه لما أصيب عزيا وحده بالبرص ولكن كان قد أصيب به كل الأمة أيضاً".

نتيجة الخطية:

١ - فقد صحته:

عندما تحدى عزيا رجل الله ضربه الرب بالبرص فى جبهته . وأى مرض ألعن من مرض البرص. لقد ظل عزيا أبرص إلى يوم وفاته. إن الخطية تفقدنا صحتنا. ماذا حدث لجيضى الطماع الذى جرى وراء نعمان وكذب عليه وأخذ منه وزنتى فضة وحلتى ثياب؟

ماذا حدث لمريم أخت موسى عندما تكلمت على أخيها موسى؟؟ لقد قال يسوع للمفلوج بعد أن شفاه: "ها أنت قد برئت. فلا تخطيء أيضاً لئلا يكون لك أشر" (يو ٥ : ١٤). وكانت أول عبارة يقولها للمفلوج الذى أنزلوه له من السقف "يابنى مغفورة لك خطاياك" ثم قال له: "قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك" (مر ٢ : ١١). وفى كلتا الحالتين نرى الارتباط القوى بين الخطية والمرض وكأن الخطية تشل الإنسان، نعم هى تشله، تشل تفكيره، إن عقدة الشعور بالذنب عندما تطارد الإنسان تحرمه من هناء الحياة وراحة البال. أليست المخدرات، والشذوذ الجنسى، وغيرهما تسبب للإنسان الكثير من الأمراض والمآسى.

٢ - فقد كرامته:

لقد قال عزريا الكاهن له "اخرج من المقدس لأنك خنت وليس لك من كرامة من عند الرب الإله" (٢ أخ ٢٦ : ١٨) وتأتى فى كتاب الحياة "ولن يكرمك الرب الإله". فهو الذى يعطى الكرامة، وهو الذى يزيلها. لقد كان عزيا أحد رموز الدولة، بل هو فى الكرسى الأول فى كل المنطقة، ولكنه خان، وما هى نتيجة الخيانة؟

لقد عُزل من المُلك وأقام فى بيت المرض إلى يوم وفاته. عزيا المكرم من كل الشعب، والشيوخ، والقادة، والملوك، أصبح بلا قيمة، بلا كرامة. الذى كان يقضى بين الشعب، ويفصل فى القضايا الهامة وينحنى الجميع أمامه، أصبح بلا كرامة.



٣- فقد أحبائه:

كان للناموس موقف واضح من البرص، إذ بعد التأكد من وجود ضربة البرص كان يُعلن عن نجاسة الأبرص، ويتم حرق ثيابه، ويُعزل خارج المدينة. وقد عُزل عزيا بعد أن ضربه الرب بالبرص، ويذكر الوحي عنه "وأقام فى بيت المرض أبرص" (٢ أخ ٢٦ : ٢١).

أى عقاب أصعب من عزل الإنسان بعيداً عن أهله وأصدقائه وأحبائه. إن واحدة من أقصى العقوبات التى توقع على أى مجرم هى الحبس الانفرادى. إن الخطية تبعد الناس عنك، لأن الخطية فى جوهرها هى الأنانية، ومن يقترب من الأنانى؟ أو الكذاب؟ أو المنافق؟ أو المخادع؟.



لقد ظل عزيا إلى يوم وفاته فى بيت المرض خارج أورشليم، ولما مات دفنوه فى مدينة داود. وقد أكتشِف قبر منقوش عليه

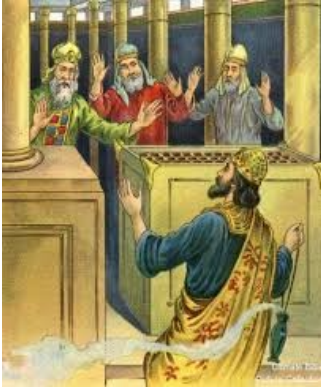
بالأرامية يرجع إلى القرن الأول قبل الميلاد يؤكد أن عزيا لم يدفن مع الملوك بل في قبر منفرد. ويذكر الوحي عنه "ودفنوه مع آبائه في حقل المقبرة التي للملوك لأنهم قالوا إنه أبرص" (٢ أخ ٢٦ : ٢٣).

يقول الأب متى المسكين في كتابه تاريخ إسرائيل "لقد وُجد اسم عزيا في سجلات آشور كشخصية خطيرة يُعْمَل لها ألف حساب وذلك بين سنة (٧٤٤ - ٧٤٢ ق م) ثم سقط بعدها اسمه من كل السجلات والآثار مرة واحدة وإلى الأبد ويرجع هذا إلى إصابته بالبرص".

٤ - فقد إنجازات السنين:

إن السؤال الذي راودنى بعد دراسة شخصية عزيا هو: ثرى ما هي الصورة التي كانت ستكون عليها المملكة لو ظل عزيا أميناً مع الرب؟ ما هي الإنجازات الأخرى التي كان سيحققها؟ يمكن لنا أن نتخيل كثيراً، ولكن الحقيقة هي أنه كان سيضيف إلى إنجازاته وانتصاراته إنجازات وانتصارات أخرى. وفقد كل هذه بسبب خطاياهم. بل وترك المملكة مهددة، ومعرضة للضياع والخراب.

يذكر صموئيل شولتز إن عزيا أُصيب بالبرص عام ٧٥٠ ق م تقريباً، وبذلك يكون قد عاش عشر سنين مريض، ومعزول عن المجتمع. وفي هذه السنة تعين ابنه يوئام مساعداً للملك ، ليقوم بكل المهام الملكية، ولكنه كان شاباً صغيراً (٢٥ عاماً) وضعيفاً. وفي هذه العشرة أعوام الأخيرة من حياة عزيا، منذ عام ٧٥٠ ق م، إلى موته عام ٧٤٠ ظهر خطران كبيران يهددان المملكة وهما:



أ- في عام ٧٤٥ ق م تولى تغلث فلاسر الثالث الملك على آشور، وبدأ بالجهد المتواصل يصوغ مملكته ويحدد تخومها، ويعتبر هو المؤسس الحقيقي للامبراطورية

الأشورية الذى أخضع بلاداً كثيرة لمملكته، فى عام ٧٤٣ ق م قام تغلث فلاسر بعدة غزوات، واستطاع أن يُخضع ولايات سورية، وشمال فلسطين بما فى ذلك حماة وصور وبيبلوس ودمشق.

ويذكر الكتاب المقدس عنه قائلاً: "فى أيام ففتح ملك إسرائيل جاء تغلث فلاسر ملك آشور وأخذ عيون وأبل بيت معكة ويانوح وقادس وحاصور وجلعاد والجليل وكل أرض نفتالى وسباهم إلى آشور" (٢ مل ١٥ : ٢٩).
لقد كانت آشور قبل خطية عزيا وعزله ترتعب من مملكة يهوذا ولكن ها هى أصبحت مصدر تهديد لها.

ب- والأمر الثانى هو تولى ففتح بن رمليا المُلك على مملكة إسرائيل عام (٧٤٢ ق م) وقد كان هذا ملكاً شريراً نجساً، تحالف مع رصين ملك آرام وأراد عزل يوثام بن عزيا من المُلك والإتيان بدلاً منه بواحد ليس من بيت داود، وكان هذا القصد هو قصد شيطانى لإبادة السلالة الملكية راجع (٢ مل ١٥ : ٣٢ و ٣٧).

تُرى لو ظل عزيا أميناً مع الرب هل كان سيحدث كل هذا؟ هل كان سيتترك من خلفه مملكة مهددة؟ هل كان سيكتفى بالإنجازات السابقة؟

عزيا وإشعيا:

فى عام ٧٤٠ ق م، سنة وفاة عزيا الملك، رأى إشعيا هذه الرؤيا: "فى سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسى عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل. السرافيم واقفون فوقه لكل واحدسة أجنحة. باثنين يغطى وجهه وباتنين يغطى رجليه وباتنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملى كل الأرض. فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلاً البيت دخاناً (إش ٦ : ١ - ٤).

عندما مات عزيا رجل الإنجازات الكبيرة، والنجاحات المتقدمة، أُصيب إشعيا بصدمة كبيرة، وخيم الظلام على حياته وعقله ولم يجد أمامه سوى الدخول إلى محضر الله وهناك رأى هذه الرؤيا المجيدة المشجعة، وأنت وأنا عندما تحيط بنا الهموم لا يمكن أن نجد السند والتشجيع إلا فى محضر الله.

لقد رأى السيد "أدوناي" وهو لقب الرب، وقد ورد في العهد القديم حوالي ٣٠٠ مرة بصيغة الجمع. وهو يعنى المتسلط على كل شئ، مالك كل شئ، القادر على كل شئ. فلقد مات عزيا الذى كان إشعيا قد عقد عليه كل الأمانى والأحلام، ولكنه أدرك أن هناك السيد "أدوناي" الذى يستطيع أن يحقق كل الأحلام. لقد



أدرك أن كل البشر زائلون، بمختلف فئاتهم ولكن الله وحده هو الباقي الدائم الذى يجب أن نضع كل طموحاتنا لديه.

عندما خلا الكرسي الذى كان يجلس عليه عزيا، ودخل إشعيا إلى محضر الله وجد كرسي أكبر من

كرسي عزيا، وعرش أعظم من عرش عزيا، إنه عرش الملك العظيم ، الذى قلوب الملوك بين يديه كجداول المياه حيثما شاء يميلها.

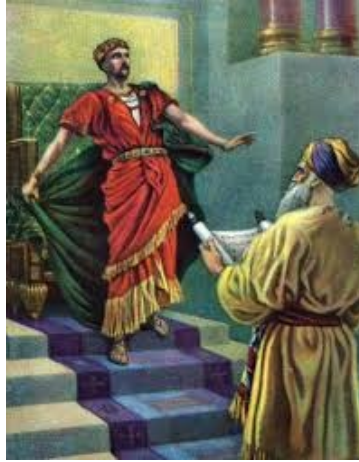
عندما خلا الكرسي الذى كان يجلس عليه عزيا، رأى إشعيا السيد "أدوناي" الذى يجلس على كرسي أكبر، فالعرش لم يخل. لقد كانت أذنيه تملأ الهيكل. لقد سمع صوت السرافيم "مجده ملء كل الأرض" فلا يمكن للكرسي أن يُترك فارغاً، هو الذى ينصب ملوك ويعزل ملوك.

عندما مات عزيا صاحب الإنجازات لاشك فى أن إشعيا وعدد كبير معه تساءل لماذا؟ ونحن كثيراً ما نتساءل لماذا يارب تسمح بموت فلان؟ لماذا تسمح يارب بهذا المرض؟ لماذا تسمح يارب بهذه التجربة؟ الخ.

وهنا رأى إشعيا السيد وهو يجلس على كرسي عال ومرتفع، وكأنه يريد أن يقول له: "كما علت السماء عن الأرض علت طرقي عن طرقكم وأفكارى عن أفكاركم".

الله لا يُسأل، علينا أن نخضع له، ونقبل مشيئته، مات يوشيا صاحب أكبر ثورة إصلاح وتصحيح في تاريخ شعب الله القديم وكان عمره ٣٩ عاماً. مات استفانوس رجماً وقد كان أحد قادة الكنيسة الأولى، وكانت الكنيسة في أشد الاحتياج إليه، ولا يجب أن نسأل لماذا؟ ما علينا إلا أن نخضع ونقول مع الرسول بولس: "يالعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً. أو من سبق فأعطاه فيكافأ. لأنه منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد" (رو ١١ : ٣٣ - ٣٦).

لقد سمع إشعياء صوت السرافيم يهتفون: "قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض". فهو مصدر القداسة. لا يطيق الشر، إلى ملائكته ينسب حماقة. فأدرك إشعياء أن ما يصيب الأمة من كوارث هو نتيجة للشر. لقد أخطأ عزيا، وهذا هو حصاد الشر والفساد، نعم البر يرفع شأن الأمة وعار الشعوب الخطية. إن الفرد أو الأمة إذا أراد نجاحاً في حياته عليه أولاً بطريق الاستقامة والأمانة مع الله، والقداسة الشخصية.



لقد سمع صوت السرافيم يهتفون: "رب الجنود مجده ملء كل الأرض" وتتكرر عبارة "رب الجنود" في عدد ٥ أيضاً. و "رب الجنود" هو لقب الله في معركته ضد الشر والظلمة. إنها تشير إلى القوى التي يستخدمها الله لتحقيق أغراضه. وهنا أدرك إشعياء أن عزيا مات ولكن الرب سيحقق مقاصده وأغراضه في المملكة وفي العالم لأنه سيد التاريخ، وصانع الأحداث الذي يقود العالم بأكمله إلى قصده النهائي والذي يحدده له منذ الأزل.